

مناهج الثقافة الإسلامية في جامعاتنا بين التأطير والتنوير

سالم فرج صالح رحيل (*)
قسم الدراسات الإسلامية. كلية الآداب والعلوم
جامعة طرابلس. ليبيا
s.rahil@uot.edu.ly

Islamic culture curricula in our universities: between framing and enlightenment

Salem Farag Saleh Rahil
Islamic Department. Tripoli University
Tripoli. Libya

تاريخ النشر: 2025-06-30

تاريخ القبول: 2025-06-01

تاريخ الاستلام: 2025-05-01

ملخص

يهدف البحث إلى التنبيه على أهمية التطوير المنهجي لمقررات الثقافة الإسلامية في جامعاتنا، وحث القائمين على إعداد هذه المناهج لإضافة نوع من التجديد المنهجي ذا طابع من التنوير الواسع والمقاصدي ليؤهل الأجيال الصاعدة للتعامل الصحيح مع التحديات المعاصرة. **منهجية الدراسة:** استخدم في هذا البحث المنهج الاستنباطي "التحليلي"، ولأن منطقيّة التحليل لخطط ومناهج الثقافة الإسلامية ترتبط بنصوص الكتاب والسنة وما يدور في فلكهما فقد عرضت هذه الدراسة للمقررات التقليدية وما في بعضها من قصور، كما أن السياق العام للشواهد والتحليلات أثبت بأن التطوير لهذه المادة أضحي ضرورة لا غنى عنها.

النتائج: أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة تمحورت حول القول بأن الإصلاح والتطوير لمادة الثقافة الإسلامية يكمن في المزاجية بين شيئين: **(الثقافة وفهم الإسلام)**، وهذا الذي يجعل المزاجية ممكنة وبناءة بين التأطير الصحيح لمقررات الثقافة الإسلامية والتنوير المعاصر المنشود.

أصالة البحث: تكمن الأهمية العلمية للبحث في الحز على ضرورة الاستفادة من المناهج التقليدية لمادة الثقافة الإسلامية وجعلها الإطار النظري والمرجعية التي يُستأنس لها، لإنتاج تنوير معاصر يستفيد من خبرات الماضي وإمكانيات الحاضر.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، الفهم، التأطير، التنوير، المنهج

Abstract

This research aims to discuss the systematic preparation of Islamic culture courses at the university level, and the possibility of developing these curricula as required by our contemporary societies. The paper also seeks to search for possible means of diagnosing challenges in developing the course and ways to overcome them.

Methodology: In this research, the deductive "analytical" approach was used, as this approach fits the objectives of the paper, as well as the process of extracting evidence, as well as answering the main problem of the research.

conclusions: The most important findings of the current paper centered on the reform and development of Islamic culture courses lie in the merging of two things: (culture and understanding of Islam). This makes it possible to build between the correct framing of the Islamic culture curriculum and the desired contemporary.

Authenticity:¹ It lies in the seriousness of the topic and its importance in addressing a very important issue, and it seeks to benefit from the traditional methods of Islamic culture to produce contemporary enlightenment that benefits from the experiences of the past and the possibilities of the present.

Key words: Culture, understanding, framework, enlightenment, curriculum

المقدمة 1.1.1

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين؛ رسول رب العالمين إلى الثقلين، وهدايته للخلق أجمعين؛ محمد بن عبد الله؛ عليه وعلى آل بيته وأصحابه أفضل الصلوات وأتم التسليم.
أما بعد:

فإن الحاجة إلى تطوير مناهج الثقافة الإسلامية في جامعاتنا تتزايد اليوم أكثر من أي وقت مضى، ذلك أن التحدي التربوي المتمثل في "مناهج علمية مُتلقية" من الفضاء الإعلامي والتسلط التكنولوجي على سماء المعرفة؛ يدفع بالحاح لإيجاد بدائل تربوية تحافظ على الثقافة والهوية في أطر معرفية ثابتة المنشأ؛ متجددة الآلة والأسلوب، وهذا ما يمكن تسميته بـ"التجديد الحضاري والتأصيل الثقافي" ويمكن تضمين ذلك في مناهج الثقافة الإسلامية التي تُدرّس لطلبة الجامعات في العالمين العربي والإسلامي.

ومن الضروري في هذا العصر تقييم أداء مقررات الثقافة الإسلامية وانعكاساتها على طلابنا، ومحاولة تجديد هذه المناهج وتطويرها لتتماشى مع التطور الإنساني؛ مع مراعات الضوابط الشرعية والالتزام بمقتضياتها وثوابتها، ولهذا اخترنا الحديث في هذا العنوان: "مناهج الثقافة الإسلامية في جامعاتنا بين التأطير والتنوير" لعلها تكون إضافة في هذا الحقل الحساس الذي أضحت الحاجة ملحة للكتابة فيه أكثر من أي وقت مضى.

أهداف البحث:

1- تسليط الضوء على الطرائق الأكثر معاصرة لإعداد مناهج الثقافة الإسلامية في الجامعات.

2- البحث في علاقة التجديد بالتأصيل في مناهج الثقافة الإسلامية؛ وانعكاسات ذلك على الإعداد العلمي والأخلاقي والتربوي لطلبة الجامعات.

3- الدعوة لإصلاح مناهج الثقافة الإسلامية وجعلها أكثر واقعية واستجابة لمتطلبات العصر.

إشكالية البحث:

تتنوع الأساليب والمقررات التي يختارها الأساتذة والمشرّفون على التعليم الجامعي لإعداد مادة الثقافة الإسلامية؛ في طريقة تقديمها وعرضها على الطلاب في كافة مراحل الدراسة الجامعية لمختلف التخصصات، ومع ذلك تبقى مناهج الثقافة الإسلامية في جامعاتنا بحاجة إلى المراجعة والتطوير، خاصة وأنّ كثيراً من الطلاب في عصرنا؛ ورغم تلقيهم لهذه المادة في المحيط الجامعي؛ - وفي كثير من الأحيان- فإن تأثيرها الفكري والثقافي والأخلاقي يظل محدوداً جداً إذا ما قورن بعوامل التأثير الثقافية الأخرى؛ الأمر الذي يطرح تساؤلات ملحة في هذه الصدد؛ منها: هل أُعدّت هذه المادة كما ينبغي؟ وهل رُوِّعت فيها جوانب الثقافة الإسلامية الضرورية والصّحيحة؟ وهل أخذ مُعدّوا مقررات الثقافة الإسلامية التقدم التقني والتكنولوجي بمحاسنه ومساوئه في الاعتبار؟ وماذا لو كان العرض التقليدي لهذه المادة لا يتعدّى كونها مادة للنجاح والرسوب؛ دون النّظر إلى أثرها في تكوين شخصيّة الطّلاب؛ الذين يمثلون العامل الرئيس لعجلة البناء في المجتمعات الحديثة؟

وبما أنّ هذه المادة تُعنى بالجوانب العلمية والأخلاقيّة، كما أنها ترسم ملامح التكوين الثقافي الإسلامي الفكري والمنهجي "التّعبدي والمعاملاتي" لدى الطّلاب قد تظّل محفورة في أذهانهم مدى الحياة، لذلك كله وقبله وبعده؛ لا بد من السعي الحثيث في تطوير هذه المادة وإعادة تقييمها وتقييم مخرجاتها باستمرار.

منهجية البحث:

استُخدم في هذا البحث المنهج الاستنباطي "التّحليلي"، وكما هو معلوم فإن هذا المنهج؛ كثيراً ما يعتمد عليه الباحثون في العلوم الإنسانية؛ وهو يقوم على عرض الأدلة واستحضار الشواهد والاستفادة منها في تقويم ظاهرة ما؛ واستنباط إجابات عن سؤال رئيسي أو تساؤلات يدور حولها البحث؛ يحاول الكاتب من خلال سرده المعلومات والوقائع؛ الخروج بنتائج وتوصيات من دراسته.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد بأن المنهج الاستنباطي أو التحليلي يحتاج إلى "المنهج الاستقرائي" لأن الاستقراء يمهّد الطريق للتحليل، كما أن التحليل يعبر عن آثار المفهوم العام للقواعد المستقرا منها⁽²⁾، ولأن منطقيّة التحليل لخطط ومناهج الثقافة الإسلامية أو أي علوم أخرى ترتبط بنصوص الكتاب والسنة وما يدور في فلكهما؛ فلا بد إذن؛ من الرجوع إليهما ومطالعة ما أُلّف فيهما من تفاسير وشروحات، وقد مشينا في هذا الطريق على ما جرى عليه العمل في مثل هذه البحوث.

المبحث الأول: الثقافة الإسلامية أصول ومقررات:

ليست الثقافة الإسلامية ومناهجها مصطلحاً مجرداً عن الواقع، بل هي لصيقة بالحياة الإنسانية وملازمة لها، ويتجلى ذلك في المعنى العام والخاص؛ بإضافة "الثقافة" ذات الدلالة المتنوعة؛ إلى مفهوم "الإسلام" بمضامينه القيمة والروحية وأبعاده التاريخية والإنسانية، كما أن البعد المعرفي لقضايا الثقافة يتقيد بإضافته للقيمة الإسلامية؛ وتتشكل صورته ومعالمه؛ ليصبح التعبير عنها تعبير عن الوجود الإنساني برمته.

1- بين يدي مفهوم الثقافة:

الثقافة (Culture) في المفهوم الغربي، وعلماء الغرب لا يفرقون غالباً بينها وبين مفهوم الحضارة (Civilization) فهذا هنتغتون يقول: "الثقافة والحضارة كلاهما يشير إلى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما"⁽³⁾، كما ذهب ادوارد تايلور من قبله إلى القول "بأن الثقافة أو الحضارة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع"⁽⁴⁾ ومن يتتبع آراءهم وتعريفاتهم المختلفة؛ يرى أنهم لا يزالون مختلفين في تحديد تعريف مرجعي لهذا الكلمة، ويخلطون بينها وبين مفهوم الحضارة.

وقد حظي مصطلح "الثقافة"⁽⁵⁾ ببسط وإيضاح لدى علماء المسلمين الذين ربطوا مفهوم الثقافة بالقيم الأخلاقية والروحية لهذا المخلوق الذين اختاره الله ﷻ ليكون خليفة في هذه الأرض، وقد رسم الفيلسوف الإسلامي مالك بن نبي معالم المفهوم الثقافي بقوله: "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة؛ في الوسط الذي وُلد فيه"⁽⁵⁾، وقد استنبط ابن نبي مقاربتة هذه للثقافة- كما أشار في كتابه "مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة"- من قول الحق ﷻ لنبيه محمد ﷺ: ﴿لَوَافَّقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ

جَمِيعًا مَا آفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ آفَقَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال/63]، لأن الثقافة عنده مستوحاة من مفاهيم أربعة، وهي: (الأخلاق، والجمال، والمنطق العملي، والصناعة)⁽⁶⁾، ومن هذا الجانب؛ ينبغي التركيز على الثقافة الإسلامية، لأن كثيراً من الإشكالات الأخلاقية والاجتماعية في هذا العصر تنتج أساساً من عدم الفهم الصحيح للمرتكزات الأخلاقية التي تميز الوجه الثقافي للإسلام والمسلمين.

ويتضح بجلاء مفهوم هذه الكلمة في لغة العرب بتعاريف منها:

الثقافة: العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذق فيها⁽⁷⁾.

الثقافة: من ثقّف وهو الحاذق الفهم⁽⁸⁾، ويقال للثقافة الفكرية والسياسية ثقافت.

فيتبين إذن؛ أنَّ الثقافة في لغة العرب أمرٌ معنويٌّ متعلّق بسلوك الإنسان وخُلُقهِ وطريقة تصوّره للأمور، لذلك جرت العادة في عصرنا؛ استخدامهم مصطلح الثقافة مضافةً إلى عادات ومهارات وعلوم، فيقولون:

"ثقافة شارع" بالإشارة إلى ما يتعوّده مرتادوا الشوارع من عادات قد تكون قبيحة أو حسنة.

"ثقافة مجتمع" تعبيراً عن عادات وتقاليد وأفهام لمجتمع ما.

ويقال "ثقافة طلابية"، "ثقافة قومية"، ويقال أيضاً: الثقافة العلمية، والثقافة الأدبية... وهكذا؛ فإن مصطلح الثقافة عندما يضاف إلى نوع من العلوم والمعارف والخبرات فإنه يُقَيّد بحسب المفهوم الذي أُضيف إليه.

2- منهج الثقافة الإسلامية وتطوره:

لقد كانت الحاجة ملحةً في المجتمعات الإسلامية للتنقيف والتوعية منذ بزوغ فجر الدعوة إلى العصر الحالي؛ وستظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتذبذب جماعات إسلامية بين مذاهب الغلو تارة والتفريط أخرى، جعل الحاجة ماسة في كل عصر إلى وضع أُطرٍ للفهم الإسلامي الصحيح، وبما أن الثقافة الإسلامية تأثرت بمرور العصور، وانقسمت بحسب طبيعتها وتكوينها إلى أركان أساسية تلخصت في:

1- ثوابت وأصول لا تتغير: تتمثل في العقائد والعبادات المنقولة بالنصوص المتواترة عبر الأجيال.

2- نوازل وأحداث استوعبها الإسلام: تتعلق بمعاملات النَّاس وتيسير مصالحهم.

3- سيرة وتاريخ: يتضمن مراحل نشأت الدعوة الإسلامية وتطورها وما مرَّ بها من أحداث.

4- علوم ومعارف: تحصر أنواع العلوم والمعارف التي زخرت بها الحضارة الإسلامية؛ من فلسفة وطب ورياضيات وفلك وغيرها.

وهذه الطبيعة ألزمت القائمين على الحقل العلمي؛ بالتواصل مع العلماء والباحثين الإسلاميين لوضع مقررات تواكب هذه العلوم وتتناغم مع ما تتطلبه الحياة الأكاديمية من برامج تُعنى بالشأن التنقيفي الإسلامي لطلبة الجامعات، وإذا كانت الثقافة الإسلامية كما يعرفها المتخصصون بأنها: "مجموعة المعارف والمعلومات النظرية والخبرات العملية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية؛ التي يكتسبها الإنسان؛ ويحدد على ضوئها طريقة تفكيره ومنهج سلوكه في الحياة"⁽⁹⁾، ومناهج الثقافة الإسلامية تقوم أساساً على نصوص الكتاب والسنة؛ وما يتميزان به من استيعاب للحياة بكل متغيراتها؛ وذلك وفقاً للمفهوم المقاصدي الذي رسم خطوطاً عريضة وسعت كل ما يصلح الناس في عاجل أمرهم وآجله.

3- مراحل تطور مادة الثقافة الإسلامية:

لقد أخذ جمع من علماء الأمة على عاتقهم نشر علوم الشريعة وتقييدها وتعليمها للناس؛ وقد برز في القرون الأولى الفاضلة علماء أفذاذ تصدّروا لهذا الشأن؛ من أمثال: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من العلماء في ذلك العصر، وكذلك علماء الحديث والتفسير؛ كالبخاري ومسلم والطبري وغيرهم، لكن العلوم الإسلامية تنوعت وكثرت واحتيج إلى أعمال النظر والفكر

في نصوصها، وقد نهض بهذه المهمة جهابذة كالإمام أبي حامد الغزالي والفخر الرازي وابن سينا وابن رشد، وتنوعت طرائق المدارس الإسلامية في التلقي فكان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أعمدة التيار السلفي المحافظ، أما الغزالي والرازي ومن نحا نحوهما فقد كانوا جهابذة أهل الرأي، وهذان الخطان أي "السلفي والأشعري" هما الأكثر تأثيراً في التراث الإسلامي اليوم، ولكن "الثقافة الإسلامية" بمفهومها الأوسع ومناهج تلقيها ليست محصورة في هاذين التيارين فحسب؛ فهناك مناهج إسلامية أخرى لا بد أن تراعى؛ ولأنها- أي مادة الثقافة الإسلامية- مجموعة من العلوم أسهم في تأطيرها وبلورتها جم غفير من علماء المسلمين على مر العصور باختلاف مشاربهم، احتيج إلى جمع شعثها وتهذيب أطرافها لتستوعبها الأجيال الصاعدة في عصرنا، وليكونوا أكثر مواءمة لها مع واقعهم الذي يعج بالمستجدات التي لم تكن في أسلافهم.

والضرورة الملحة في هذا العصر؛ تدعو إلى تقديم شامل للإسلام يتناول جوانبه المختلفة، من عقيدة، وعبادة ونظام أخلاقي، يُنظم حياة المجتمعات، وكذلك الأنظمة المتعلقة بالأسرة والحياة الاقتصادية، والسياسية والدولة وشؤون الحكم، وهذه الصورة الشاملة هي التي تُعرّف بالإسلام تعريفاً صحيحاً، وتميزه عن غيره⁽¹⁰⁾، وفي هذا الإطار يرى بعض الباحثين في مراحل تطور مادة الثقافة الإسلامية أنها نتاج مراحل:

أولاً: عصر ما قبل التدوين.

ثانياً: مرحلة التفاعل الحضاري المصاحب لعهد الفتوحات واختلاط المسلمين بالحضارات المجاورة⁽¹¹⁾.

ثالثاً: عصر التجديد؛ الذي قام على يد علماء ودعاة من أرباب الفهم الإسلامي ذي البعد الشامل؛ ومن أبرزهم ابن تيمية الذي سار على المنهج السلفي في نقده لتراث الحضارة الإسلامية؛ وتبعه في ذلك علماء مثل ولي الله الدهلوي الذي ألف كتابه "حجة الله البالغة" وعرض فيه الإسلام بصورة شمولية.

رابعاً: العصر الحديث؛ وفيه نضج هذا العلم، حيث اجتمعت كل الجهود السابقة لتوعية الأجيال بهوية الأمة وضرورة تحصينها في عصر الاتصال الثقافي والتحدي الذي أفرزته التكنولوجيا؛ فاحتيج إلى جمع هذه العلوم تحت مسمى جديد ليدرّس في جامعاتنا، وقد سُمي في أول الأمر بـ"نظام الإسلام"، ثم استحسن بعضهم أن يُسميه بـ"الثقافة الإسلامية"، ويُذكر أن أول تدريس لهذه المادة كان في جامعة دمشق على يد الأستاذ محمد المبارك⁽¹²⁾.

4- المقررات التقليدية:

المقصود في هذا البسط: مقررات الثقافة الإسلامية المتعارف على تدريسها في جامعاتنا، وهي عادةً ما تتناول؛ وحدات في العقيدة والعبادات والسيرة والتاريخ والمعاملات، وهي مواد ضرورية لا غنى عنها، بل هي الحد الأدنى الذي ينبغي تقديمه لطلاب الجامعات من غير المتخصصين، لأنّ المشاهد في زماننا اليوم أنّ كثيراً من حملة الشهادة العليا؛ بل ممن حصلوا على ألقاب مثل: دكتور ومهندس أو حتى بروفييسور... وغيرها من الألقاب في علوم الطبيعة والطب واللغات وما

شابهها من العلوم، يكادون يفتقرون للثقافة الإسلامية، والدراية عندهم بعلوم الشريعة ضحلة؛ فبعضهم لا يحسن قراءة الفاتحة، ومنهم من لا يتقن الوضوء، إلى غير ذلك من الجهل بأمور هي من الضروريات للمسلم، والعلم بها من فروض العين، ويمكن وصف ذلك بـ"التخلف الثقافي" أو "الجهل بالعلوم الإسلامية"، وما ذلك إلا لعدم الاهتمام بهذه المادة، ولأننا لم نعطيها حقها ومستحقها في السلم الأكاديمي للجامعات.

5- نماذج لمواد ومقررات في الثقافة الإسلامية:

جرت العادة في جامعاتنا أن تكون مقررات الثقافة الإسلامية متضمنة العقيدة والعبادات والمعاملات وعدد من العلوم التي تتكلم عن الحضارة الإسلامية وما مرَّ بها من أطوار، وفيما يلي شيء من التوضيح لما عليه بعض هذه المواد، وطريقة عرضها:

1.1.2 أولاً: التثقيف العقائدي:

جرى العمل في الحديث عن العقيدة الإسلامية؛ أن تُستفتح بالكلام عن الألوهية وما يجب لله ﷻ، ثم التعريف بالملائكة وما يجب اعتقاده في حقهم مما وردت به النصوص من الكتاب والسنة، والإيمان بالنبیین والمرسلين وعالم الغيب واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وهذا ما يُعرف بأركان الإيمان كما جاء في الحديث (13)، ولا يخلو كتاب من كتب الثقافة الإسلامية من عناوين تتكلم عن هذا الباب العظيم.

لكن الملاحظ على بعض هذه المصنفات أنها تتسم بالتعقيد في تقديم المعلومة، كما أنها تتشعب في ذكر بعض التفاصيل التي لا حاجة للطلبة من ذوي التخصصات العامة إليها، كالحديث عن وجود الصَّانع والتفريعات الأخرى المتعلقة بالأسماء والصفات؛ والتي مجالها كتب علم الكلام، ولا تعود على غير المتخصصين إلا بالتشويش، فهي مسائل عويصة لا ينبغي أن تُجتزأ ولا أن تُطرح على العامة، لأنها تشوش عليهم؛ ولأنَّ هؤلاء الطلاب الذين لم يشتغلوا بالعلوم الشرعيَّة لا يمكن لهم فهم الاستدلالات العقلية وأبعادها بدراسة عامَّة لهذه المفاهيم، فهم لم ينفِروا لدراسة هذا العلم، ولم يدرسوا علم الأصول ولا علم الكلام دراسة معمَّقة، ولذلك يحسن ألا يُخبروا بهذه المسائل، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام أبي حامد الغزالي فقال: "فالمشغولون بالدنيا، أو بالعلوم التي ليست من قبيل معرفة الله تعالى؛ عاجزون عن معرفة الأمور الإلهية؛ عجز كافة المعرضين عن الصناعات عن فهمها" (14)، وصدق الإمام الغزالي؛ فكل صاحب صنعة أدرى بصنعتة.

1.1.3 ثانياً: الجانب التعبدية:

وهو الحقل المهم في مقررات الثقافة الإسلامية؛ لأنه يُعنى ببيان العبادات وكيفية أدائها؛ وما يتعلق بها من أحكام، ولا يجوز ولا ينبغي لعامة المسلمين؛ فضلا عن شرائح المتعلمين من مهندسين وأطباء ومفكرين؛ أن يتقاعسوا عن معرفة البديهيَّات من الشَّأن التعبدية، مثل: ما يتعلق

بثاني أركان الإسلام "الصلاة" من أحكام؛ كوقتها وفرائضها وسننها، وكيفية ترفيعها...، إلى غير ذلك من تفرعات لا يسع أي مسلم جهلها، وكذلك الزكاة وأنصبتها، خاصة زكاة النّقدين التي تتعلّق بالمال من "عملات وذهب وعروض تجارة" حيث أنّ كثيراً من هؤلاء تتكدس عندهم الأموال ولا يخرجون زكاتها ولا يعلمون متى تجب في المال زكاة، وكذلك أحكام الصوم ومبطلاته، والحج ومتعلقاته...، فالمهم أن تُقدّم لهم مادة من العبادات تُلخّص كل ذلك وتُشعر بأهميتها للمسلمين، وتعظيم مكانتها في نفوسهم، كما قال الله ﷻ: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْطِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج:32].

وتتجاهل بعض مقررات الثقافة الإسلامية في جامعاتنا اليوم الحديث عن الشّيق التّعبدية، واعتمدت طائفة من العلماء والأساتذة ترك ذلك باعتباره فرعاً عن علوم الفقه التي تُعطى للمتخصصين في علوم الشريعة، وهذا- بلا شك- قصورٌ ونقص، لأن إهمال ذلك أنتج مخرجات من فنيين وخبراء وأطباء ومهندسين... لا يحسنون إقامة الشّعائر الإسلامية، أو قد يلجأ عدد منهم إلى تعلم ذلك من وسائل الإعلام والوعاظ، ويتلقفون من هنا وهناك معلومات ناقصة أو مغلوطة؛ تؤدّي إلى الغلو المفضي في كثير من الأحيان إلى تخطئة غيرهم من أتباع المذاهب الأخرى في مسائل من الخلاف المسوّغ الواسع، كما أن بعض الوحدات في مادة الثقافة الإسلامية قد تتناول بعض العبادات، ولكنها تعرضها بطريقة ممّلة؛ لأنّ معدي هذه المقررات اتبعوا منهج التفرعات الموجود في كتب الفقه على المذاهب الأربعة؛ دون مراعاة لانشغال الطالب بمقررات أخرى في مجال تخصصه العلمي تشغل باله وتسيطر على تفكيره وتستنزف وقته وجهده.

1.1.4 ثالثاً: المعاملات والأخلاق

وهذا الباب يربط الطلاب بثقافة دينهم في جوانب السلوك المنظمة لتعاملات الناس بعضهم مع بعض، سواءً منها المعاملات الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، وكل هذه التعاملات نظّمها الإسلام، ابتداءً من تعامل الأفراد بعضهم مع بعض، مروراً بالأسرة والقبيلة وانتهاءً بالدول والأمم، ولا أدلّ على ذلك وأبلغ من قول الحق ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:13] وقوله ﷻ أيضاً: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء:1]، فالناس شركاء في العيش على هذه الأرض، لذلك جعل النبي ﷺ أحد أعلى المهام والغايات التي جاء لإحيائها في الناس، تنظيم الأخلاق وإكمال بنائها وتنميط لبناتها في الناس؛ فقال: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"، وفي رواية "مكارم الأخلاق" (15)، ومكارم الأخلاق بشكل عام لا تقوم لها قائمة إلاّ بنشر ثقافة شاملة لكل فعل حسن يصدر عن المسلمين أفراداً وجماعات، وكما هي شاملة لتعامل المسلمين بعضهم مع بعض، فهي أيضاً شاملة لتعامل المسلمين مع غيرهم، وهكذا فإن الوحدات المقررة في مادة

"الثقافة الإسلامية" لطلابنا عادة ما تتناول هذا الباب العظيم الذي يؤكد على شمولية هذا الدين واستيعابه للواقع وعالميته.

ومع أن تقدير الوحدات المقررة لمادة الثقافة الإسلامية تختلف من جامعة لأخرى، بحسب ما يراه معدوا هذه المقررات، وبحسب ما يقترحه بعض الأساتذة؛ إلا أنها عادة ما تتناول هذه الأبواب، مع اختلاف في حجم المقررات وطريقة المحاضرين في تقديم دروسهم، وبهذا تميّزت هذه المادة عن غيرها، فهي تُعطى لغير المتخصصين، ولذلك يُحاول معدوا هذه المادة وضع وحدات تستوعب أكبر قدر من برامج التثقيف الإسلامي، رغم ما يكتنف تقديمها من صعوبات وما يحيط بها من تحديات.

1.1.5 تحديات تواجهها مناهج الثقافة الإسلامية التقليدية:

رغم أن المقررات التقليدية تمثل الوحدات الأساسية التي تقوم عليها مادة الثقافة الإسلامية؛ وهي الإطار العام الذي يبني عليه المتخصصون خططهم في إعداد مناهج هذه المادة، فإنها تمر ببعض العقبات والتحديات التي تعوق تقديم برامج للثقافة الإسلامية أكثر فاعلية وتأثيراً في التوعية والتثقيف الإسلامي، ومن هذه التحديات:

- قلة الوقت الممنوح عادة لهذه المادة، وتقليص المنهج واقتصاره على مادة لفصل واحد من مجموع الفصول المقررة للتخرج، فلا يطالب الخريجون إلا بدراسة مقرر واحد للثقافة الإسلامية، ممّا يشكل ضغطاً على معدي المنهج من المتخصصين والأساتذة والمحاضرين ويضعهم أمام خيارين؛ إمّا أن يقرّروا على الطالب مواضيع قليلة لا تُسهم في بناء شخصيته الثقافية الإسلامية، أو يُعطونه مادة دسمة شاملة لكل مواد الثقافة الإسلامية؛ في مدّة قصيرة لا تصلح بكافة المقاييس لاستيعاب المقرر.

- تخضع المقررات في بعض الأحيان لأهواء الأساتذة واختياراتهم الفكرية والأيديولوجية، وعلى هذا المنحنى يكون المنهج داعياً إلى التعصب ويزرع في عقول الطلبة التحيز ضد الآخرين؛ وعدم الانفتاح على الآراء المختلفة، والتنازع لمجرد الاختلاف في وجهات النظر، وهذا بلا شك منهج مذموم يثير العداوات ويزرع الكراهية والأحقاد.

- التوقع في القديم وعدم السعي لتطوير المقررات بما يتناسب مع متطلبات العصر وما يواجه الأمة من تحديات، مثل تحدي الإلحاد والدعوة إليه التي تفتّت في بعض مجتمعاتنا، وبالأخص طلبة الجامعات⁽¹⁶⁾، تحت عباءة التنوير والعقلنة وحرية الرأي، وكان أهم أسبابها في بعض الدول الإسلامية؛ غياب المحاضن التثقيفية ذات الوجه الإسلامي الصحيح؛ وحالة التسطّيح العامة لكل المسائل الثقافية، وظاهرة المراهقة الفكرية، أضف إلى ذلك حالة التيه التي يعاني منها الشباب بعد سقوط الأيديولوجيات والسرديات⁽¹⁷⁾.

- الضجيج الإعلامي المصاحب للتقدم التكنولوجي؛ وهذا يعد من أعظم التحديات التي تواجهها مادة الثقافة الإسلامية، حيث أُشيعت بعض العقول الشابة اليوم بمغالطات كثيرة؛ ينطلق مروجوها من منطلقات إسلامية- كما يدعون- فأدى ذلك إلى نتائج عكسية، تمثلت في التسطيح الفكري، وفوضى الإفتاء والتقول في الدين بغير علم، ولا شك أن هذه التيارات المتلاطمة من المعلومات والتصورات الشائنة عن الإسلام هي التي أنتجت ثقافاً أبعد ما يكون عن الواقع والترجمة الحقيقية لنصوص الشريعة، وهو ما أوجد البلبلة الفكرية ذات الأبعاد الإعلامية والدعائية التي لا تأوي إلى ركن شديد من العلوم والمعارف.

1.1.6 المبحث الثاني: التأطير والتنوير وأثرهما على الثقافة الإسلامية:

تتعاضم الحاجة في هذه الأوقات إلى تنوير وتجديد مقرر مادة الثقافة الإسلامية، ولا نستطيع أن نتكلم في هذا الجانب بمعزل عن الجانب التأطيري الذي سبقت الإشارة إلى أجزاء منه، في الحديث عن المقررات التقليدية، ولكن تأطير المنهج الثقافي في العلوم الإسلامية؛ أشمل وأوسع، وكذلك التنوير الذي يتجاذب معه حلقات الثقافة المختلفة؛ في الأسلوب والمحتوى، وهذا يدعونا إلى الحديث عن هذه المصطلحات:

أولاً: التأطير:

التأطير في اللغة: مشتق من "أَطَّر" والإطار الحلقة⁽¹⁸⁾، وأطر جمع إطار وهو ما أحاط بالشيء، فيقولون: "أَطَّر الصورة جعل لها إطاراً"، و "إطار العجلة" وما أشبه ذلك⁽¹⁹⁾.

ويمكن تعريف التأطير لمناهج الثقافة الإسلامية المعاصرة بأنه: وضع أطر وحدود لهذا العلم لا يمكن تجاوزها، تنطلق من نصوص الكتاب والسنة والنقل المعتبر من السيرة والتاريخ؛ تصبح بمثابة القواعد الذهبية، ويترك المجال لمسائل التثقيف المعاصرة بحسب ما يقتضيه التطور العلمي والحاجة إلى الوعي بالقضايا المرتبطة بالتراث الإسلامي والتقدم الحضاري على هذه الأرض. والسؤال المتعلق بهذا الطرح هو: هل يمكن التوفيق بين التأطير لجوانب الثقافة الإسلامية؛ وإطلاق العنان للبراح الفكري لمناقشة كل جديد في المجالات العلمية المختلفة من تكنولوجيا وعلوم طبيعة وغيرها؛ وعقلية من تاريخ ومنطق وفلسفة؟

إن الإجابة عن هذا السؤال متعلقة بالعرض السابق الذي تكلمنا فيه عن مناهج الثقافة الإسلامية التقليدية وما تمر به من تحديات، ولا شك أن التأطير الرّشيد لمقررات الثقافة الإسلامية هو مفتاح الحل للقصور الذي تعاني منه هذه المقررات وإشكالياتها في التوفيق بين ما هو تراث إسلامي تقليدي لا غنى عنه، وبين ما هو تنوير حدائي فرضه الواقع وتطور الحياة على مر الأجيال.

يحتاج العمل التّأطيري الرشيد لمقررات الثقافة الإسلامية إلى اتباع خطوات بعينها؛ حتى نضمن بقاء الإطار النظري لهذه المقررات قويّاً وصلباً؛ وفي نفس الوقت لا يتعارض مع التنوير المنشود، ولتحقيق ذلك يجب أن يقوم هذا التّأطير على:

1- ترسيخ المنهج القرآني في الاستدلال والدّعوة إلى تعليمه قراءة وفهماً، فهو المصدر الأول الذي بدونه لا تقوم للثقافة الإسلامية قائمة، والتمسك بالقرآن والاعتماد عليه ومدارسة معانيه، أمر لا بد منه لطلاب الجامعات في هذا الوقت، وفي الحديث: "كتاب الله؛ فيه نبأ ما قبلكم، ونبأ ما هو كائن بعدكم، وفيه الحكم بينكم، وهو حبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الصراط المستقيم، وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه... الحديث" (20).

تنبيه: ينبغي أن يُطالب الدّارسون للثقافة الإسلامية في جامعاتنا بحفظ أجزاء من القرآن الكريم، أو تصحيحها ودراستها على أقل تقدير، وذلك حتى نتلافى القصور الحاصل في مخرجات التعليم العام في جامعاتنا فيما يخص قراءتهم لكتاب الله، وهذا من أولويات الثقافة الإسلامية بلا شك. كما ينبغي العناية بالسنة النبوية الصحيحة وجعلها إطاراً ثانياً في التثقيف الإسلامي، خاصة وأنّ هناك دعوات مسعورة لفصل السنة عن القرآن، ويتساءل أصحاب هذا القول: إذا كان القرآن كاملاً مكتملاً وافياً فما الحاجة إلى السنة؟ ولو أمعن هؤلاء النظر قليلاً وتأملوا في كتاب الله، لوجدوا القرآن يؤكد بأن السنة وحي من الله، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3-4]، ولا يمكن فهم الإسلام وحقيقته بمعزل عن السنة، فلا ثقافة إسلامية بدون التّعرف على

الحديث النبوي والعناية به، وهذا الإطار الثاني المكمل للإطار الأول وهو "القرآن الكريم".

2- أن يبتعد الإطار النظري لهذه المادة عن المناهج الأيديولوجية، لأن التّحيز الأيديولوجي أُنبت فتنّة طائفية حتى بين أهل السّنة بعضهم مع بعض، وظهر عوار دعاة التّحزب وأثره في تفريقهم بين أهل المذاهب الأربعة الذين يشكّلون السّواد الأعظم من هذه الأمة، وفي الوقت الذي كانت فيه الاختلافات الفقهية لا تعدوا كونها اختيارات أئمة أهل السنة واجتهاداتهم في فهم مسائل الدين، أضحت- وللأسف الشديد- على أيدي دعاة الطائفية الفكرية والتعصب للشيوخ والآراء؛ اختلافات يُوالون من أجلها ويُفسّقون ويُكفّرون، فإذا تخلّصت مناهج الثقافة الإسلامية من التّحيز الأيديولوجي- وهذا ما ينبغي- على أساتذة ومُعدي هذه المادة أن يقوموا به، لأنهم يقدمون برنامجاً تثقيفياً إسلامياً يسع الجميع دون تعصّب وتزمت، كما يجب أن يحملوا طلابهم على أدب الاختلاف والقبول بالآخر وإن اختلفوا معه في مسألة أو مسائل، وقد أثير عن الشافعي قوله: "ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة" (21)، ومن هنا فإن التّحيز الأيديولوجي يُعد عقبة في طريق

التأطير السليم لمادة الثقافة الإسلامية؛ والنأي بمناهج الثقافة الإسلامية عنه من أهم الشروط لإصلاحها وزيادة فاعليتها.

3- الاعتماد على الكتب الصحيحة في نقل الأخبار والأحداث التاريخية، فقد دُسَّ في بعض كتب التاريخ من الافتراءات والمغالطات ما الله بها عليم، كالادعاء بأن معاوية رضي الله عنه إنما طلب الإمارة مدّعياً أنه أحق بها من علي رضي الله عنه في الرواية التي تنسب لابن الكواء مخاطباً أبا موسى الأشعري رضي الله عنه بقوله: "اعلم أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه ادعى الخلافة من غير مشورة، فإن صدقك فقد حل خلع، وإن كذبتك فقد حرم عليك كلامه" (22)، والصحيح أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنه كان حول مدى وجوببيعة معاوية رضي الله عنه وأصحابه لعلي رضي الله عنه قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعد، وليس لأجل الإمارة، فقد كان رأي معاوية ومن معه أن يقتصر عليٌّ من قتلة عثمان ثم يدخلون بعد ذلك في بيعته (23)، ومن الافتراءات والأباطيل ما يُداول في بعض كتب الثقافة الإسلامية من تشويه للدولة العثمانية؛ وقد سلك هذا الطريق عدد من الكتاب والمؤرخين العرب؛ ومنهم المؤرخ المصري: محمد عبد الله عنان الذي تأثرت به أجيال كثيرة في الجانب الثقافي وكانت له- وللأسف- مغالطات في تقييمه للدولة العثمانية بل حتى للفتح الإسلامي بشكل عام، ومما نُقل عنه في هذا قوله: "إن مصر الإسلامية لم تعرف رغم ما توالى عليها من عصور الاضطراب والفتنة من الخطوب والمحن نكبة أعظم من الفتح الإسلامي، ولم تعرف حكماً أقسى وأمر من حكم الدولة العثمانية" (24)، وهذه الإساءات وإن كانت عن قصد أو بدون قصد؛ من بعض الكتاب العرب والمسلمين؛ غير أنها تأثرت بها مناهج الثقافة الإسلامية، وبنى عليها بعض الأكاديميين قناعاتهم، وازدادت وتيرة ذلك في هذه الأيام، لأن هدف هذه الحملات التشهير بالخلافة الإسلامية والإساءة للحكم العثماني، وذلك بسبب أن التاريخ كُتب بأيادي مشبوهة موالية للغرب، والحملات اليهودية في هذا الشأن لا تحتاج إلى دليل، لأن اليهود لهم أساليبهم التي لا تجارى في مجال الاستشراق، كما اعتمدوا أيضاً على المستشرقين النصارى وتغلغلوا في مجال الدراسات العربية والإسلامية، وقد اعتمد عليهم- وللأسف- بعض الدارسين العرب والمسلمين وتأثروا بأفكارهم، واليهود عندهم من القدرة على فهم المجتمعات الإسلامية ونقد الإسلام والثقافة الإسلامية وصناعة الشبهات حول الإسلام والمسلمين ما ليس عند غيرهم لأنهم عاشوا مع المجتمعات العربية واستخدموا لغتها حديثاً وكتابة بكل طلاقة (25)، والشواهد على دخول التحريف والتزوير إلى بعض الكتابات التاريخية تملقاً للغرب وتماشياً مع سياسته العدوانية ضد قيام دولة إسلامية قوية- تحمي كيان الدويلات الإسلامية المبعثرة- أكثر من أن تحصى.

4- الابتعاد عن دعوات العلمانية الشاملة (26)، ذلك أن هؤلاء العلمانيين مولعون بمحاربة الإسلام وإثارة الشبهات حوله، ولم يدعوا سبيلاً لتحقيق غاياتهم الدنيئة إلا سلوكه، وقد تسللت بعض كتاباتهم إلى مقررات الثقافة الإسلامية (27) في بعض الجامعات، سيراً وراء تنوير مزعوم، فنسمع

دعواتهم لتحرير المرأة- التي تعني عندهم- أن تكون مثل الرجل سواءً بسواء؛ دون مراعاة للفارق البيولوجي والنفسي والفطري، ودون النظر إلى الوظائف المنوطة بكل من الرجل والمرأة، فالمساواة عندهم تعني تغيير أحكام الله في الميراث!، والدعوة لخروج المرأة بلا حجاب، وإباحة تعدد الأزواج؛ ومنع تعدد الزوجات!، ردًا على تعدد الزوجات الذي أباحه الله ﷺ للرجل، وقد باتت تظهر بعض هذه الآراء في المجتمعات الإسلامية "العصرية"، ويحاول الداعمون لهذا المسلك إلباسها لبوس التنوير والتحضّر الإسلامي- كما يزعمون-؛ ولم تعد مقولة "أعط ما لله لله، وما لقيصر لقيصر" كافية لزعماء العلمانية الشاملة؛ فسوّلت لهم أنفسهم المريضة بالحقّد والكراهية لكل ما هو إسلامي، متناقضين مع شعاراتهم البرّاقة "حرية الاعتقاد والعبادة"، "حرية التعبير".... وغيرها من الشعارات التي يرفعها العلمانيون، حتى إذا ما رأوا مظهرًا إسلاميًا- أي مظهر إسلامي- كفروا بهذه الشعارات وخلفوها وراء ظهورهم.

1.1.8 ثانياً: التنوير الثقافي حقيقته وأهدافه:

التنوير في لغة العرب: من الإنارة⁽²⁸⁾، ونور الشجر تنويراً إذا أزهى⁽²⁹⁾، ويقال لوقت إسفار الصبح تنوير، وفي الحديث: "نوروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن"⁽³⁰⁾.
التنوير اصطلاحاً: كلمة يستخدمها الحداثيون للتنبيه على العصرية والتطور، ومواكبة العلوم العصرية والاستفادة من الطبيعة، ولم يرى حرجاً العلامة ابن عاشور- رحمه الله- أن يستخدم كلمة "التنوير" في عنوان تفسيره المعاصر لمعنى القرآن العظيم، وذلك لدعوة الأجيال المعاصرة إلى التأمّل في رسالة القرآن التي تعتبر رسالة تجديد للعقل البشري وإخراجه من ظلمات الجهل والشرك إلى نور العلم والتوحيد⁽³¹⁾، وبالتالي التاريخي لهذا المصطلح نصل إلى نوعين من التنوير:

أولاً: التنوير بالمفهوم الغربي في القرن 18 الميلادي، حيث اعتُبر هذا العصر في أوروبا عصر التنوير، وقد انطلق منظروه من منطلقات فكرية وفلسفية هيمنت على العالم الأوروبي في ذلك العصر، تجسدت في اعتبار العقل المصدر الرئيس للسلطة والشرعية، وهو المدافع عن المثل العليا مثل: الحرية والتقدم والتسامح والأخوة؛ وفصل الكنيسة عن الدولة وغيرها⁽³²⁾، ومن أهم دعاة التنوير في أوروبا: فولتير الفرنسي الذي دعا إلى تقديس العقل بدلاً عن قداسة الدين، وهاجم بشدة الدين والكنيسة⁽³³⁾، ويعتبر فرانسيس بيكون؛ المحامي الإنجليزي أيضاً من أهم أعلام التنوير في بريطانيا، الذي طالب بالاعتماد على منهج علمي جديد يقوم على أساس من التجربة؛ وطالب بحالة جديدة في عالم المستقبل المعرفي تصبح فيه المعرفة مصدر القوة التي تُمكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة⁽³⁴⁾، ومن أهم المعتقدات الباطلة في العالم الكنسي التي قام ضدها هؤلاء التنويرين:

- 1- صكوك الغفران: وهو في العقيدة (الكاثوليكية) يعني العفو عن الخطايا وغفرانها، من قبل الكنيسة بعد أن يعترف مرتكب الذنوب أمام القسيس لينال الغفران⁽³⁵⁾.
- 2- رفض العلوم الكونية وما يأتي من علماء الطبيعة من نظريات: لأن الكنيسة الكاثوليكية استأثرت بالبيت في الشأن العام والخاص للناس، وليستحوذ رجال الدين على عقول العامة بذكر خرافات وأساطير، لإرغامهم على الانصياع للكهنة والقساوسة، بل إن لوثر وهو من دعاة الإصلاح في المسيحية، ومؤسس العقيدة البروتستانتية نراه يتطرف في إنكاره للعقل، وحربه للعلماء، قائلاً: "لا تستطيع أن نتقبل كلاً من الإنجيل والعقل، فأحدهما لا يفسح الطريق للآخر.. إن العقل هو أكبر عدو للدين"⁽³⁶⁾.
- 3- استحواذ القساوسة على الثروات ومشاركتهم الإقطاعيين وأصحاب النفوذ حكم البلاد.
- 4- احتقارهم المرأة واعتبارها مخلوقاً قاصراً مسؤولاً عن الذنوب: وبنائهم العلاقة بين الرجل والمرأة على الغواية وأن المرأة سبب الخطيئة الأولى، وهذا بنص الكتاب المقدس، فقد جاء في سفر التكوين: "فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ"⁽³⁷⁾.
- ومن هنا يتبين بأن التنوير من وجهة نظر العلماء الغربيين يكون بالخروج على تقاليد الكنيسة وتعاليمها، وهذا ما يفسر ظاهرة العزوف المستمر عن الحضور إلى الكنيسة إلا في أوقات قليلة، كما أن أعداداً كبيرة من المسيحيين لا يأتون إلى الكنيسة أبداً، والتزامهم بالتعاليم ضعيف جداً، وذلك بشهادة المسيحيين أنفسهم، وهذا مظهر آخر؛ تتبين فيه حالة التقاطع بين المسيحيين والكنيسة في هذا العصر⁽³⁸⁾.
- ثانياً: التنوير من وجهة نظر إسلامية:** مصاحب لحالة التّقدم الحضاري التي يشهدها العالم اليوم، وليس للإسلام مشكلة في ذلك، فقد دخل المسلمون في هذا التنوير بكل سهولة ويسر، فالإسلام لا يتعارض مع الفطرة السليمة ولا مع التقدم الإنساني في الشأن المادي- بل على العكس- فقد حتّ الإسلام على السّعي في الأرض واختبار أسبابها واكتشاف مكانها، وإعمال العقل، وقال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، وقال أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الْبَلَّ وَالْثَّهَامَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ إِيَّاهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 10-12]، فهذه الآيات وغيرها تنبها إلى عظيم قدرة الله في هذا الكون؛ الذي سخره ﷻ وما فيه من ثروات ومعادن لعباده ليستفيدوا منها، ويعمروا الكون بعلومهم وصناعاتهم، ويعملوا عقولهم في شتى المجالات، ولم يكن الناس في الإسلام بحاجة إلى التنوير بالمفهوم الكنسي، ولم يكن هناك تضاد بين العلماء

والمفكرين الإسلاميين المعاصرين وتعاليم الإسلام، كما كان لدى علماء التنوير في الغرب مع الكنيسة.

1.1.9 لماذا مصطلح التنوير:

أثيرت إشكالات حول كلمة "التنوير" وهل يمكن استخدامها للتعبير عن تطوير المناهج الفكرية للمدارس الإسلامية في هذا العصر، والحقيقة أن هذا المصطلح أسيء استخدامه من بعض المفكرين المسلمين، فقلدوا مناهج حداثة فاسدة زعم أصحابها أنهم يطورون مدارس الفكر الإسلامي، لكنهم وقعوا في مخالفات جسيمة لصريح النصوص فأفرغوا التدين من محتواه العقائدي والشرعي.

وبالرغم من كل ذلك فينبغي ألا يكون ذلك حاجزاً في استخدام هذا المصطلح للدلالة على معناه الحقيقي، خاصة وأن رسالة الإسلام تعد أعظم طريق لتنوير البشرية وإخراجهم من ربة العبودية لغير الله ﷻ، ولذلك فإن هذا المصطلح فيه من القوة والأصالة في الدلالة على المراد؛ إذا استخدم في موضعه الصحيح، وخاصة في مجال التنقيف الإسلامي المعاصر، وبيان ذلك في عدة اعتبارات منها:

- 1** كلمة التنوير في حقيقتها مصطلح ترجع أصوله إلى معاني مستنبطة من الذكر الحكيم حيث قال الله تعالى في أول سورة إبراهيم: ﴿الرَّكَابُ أَتَيْنَاكَ إِلَيْكَ لَخُجَّجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أفلا يجوز أن يقال في معنى هذه الآية: إن القرآن الكريم رسالة تنوير للناس وإخراجهم من ظلمات الجهل والشرك، إلى نور الهداية والتوحيد، وغيرها من الآيات، كما أن العلامة ابن عاشور المالكي-رحمه الله- سمى كتابه التفسير بـ"بالتحريير والتنوير" بل قال في اسم الكتاب بطوله: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لاحظ قوله: تنوير العقل الجديد⁽³⁹⁾ وكأنَّ الشيخ- رحمه الله- قصد بذلك ما تحتاجه عقول بعض الناس وخاصة جيل الشباب من تجديد وتنوير في كل عصر وذلك لفهم معاني القرآن العظيم.
- 2** الإشارة إلى ما يمكن أن يقوم به أهل التخصص من تحديث لمفردات هذه المادة وفقاً لضوابط التنوير الإسلامي، يقول المفكر المسلم محمد عمار: نريد أن نبحث عن حقيقة التنوير لنرى أنحن مدعوون إلى تنوير غربي إسلامي فنتفق مع الدعاة إليه.... أم نريد أن نتحاكم إلى البرهان والحكمة والعلم والحقيقة في تحرير مضامين ومفاهيم مصطلح التنوير...⁽⁴⁰⁾ فيجب إذاً التفريق بين التنوير بالمنظور الإسلامي، والتنوير بالمنظور الغربي.
- 3** التنبيه بأن هناك مدرسة لبعض المفكرين العرب والمسلمين؛ ترتاب في كل كلمة من هذا القبيل؛ استخدمها مفكرون غربيون من مناصري العلمانية، فأثر ذلك على أرباب هذه المدرسة فنأوا بأنفسهم عن استخدام مصطلحات وإن كانت ترجع في أصولها إلى اشتقاقات إسلامية، وهذا من التحجير على البراح الفكري بدعوى لا دليل قطعي الثبوت عليها.

1.1.10 التنوير المنشود في مادة الثقافة الإسلامية:

مما لا شك فيه أن التطوير في مادة الثقافة الإسلامية والدفع بركابها التنويري أمر مطلوب ومحمود، إلا أن هذا التنوير لن يكون إلا من خلال وسائل وطرق تضبط هذا التنوير وتؤطره في إطاره الصحيح والمنضبط وفقاً لمعايير التنوير الإسلامي المعاصر، ويمكن تفصيل ذلك في عدة اتجاهات: (التنوير المنهجي، التنوير الواسلي، التنوير المقاصدي):

1.1.11 أولاً: الاتجاه المنهجي "التنوير المنهجي":

وهو شق خاص باختيار الوحدات وإعداد السياقات وترتيبها حسب الأولويات، ومن الأولويات كما سبقت الإشارة إليه في المناهج التقليدية؛ أن تتضمن وحدات في العقيدة والعبادات والمعاملات، كما أنه من المفيد جداً أن يتناول المنهج مواد تعالج قضايا وهموم الأمة في هذا العصر بمنهج وسطي لا إفراط فيه ولا تفريط، وهو يتضمن عدة خطوات:

1- اختيار عناوين للوحدات تتفق وإلحاق المرحلة واحتياجات المجتمع الإسلامي لمعالجة بعض القضايا من منظور شرعي يراعي النوازل ويواجه الأزمات بعين مفتوحة، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

- من المهم في هذا العصر أن تحتوي مادة الثقافة الإسلامية على مبحث في أدب الاختلاف لمعالجة التنازع بين العديد من مدارس أهل السنة؛ والذي ازدادت حدته في الآونة الأخيرة؛ كما أنه افتقد للضوابط والمرجعيات التي تهذب هذا الاختلاف وتحصره في الإطار الفكري؛ والقلب التنوعي.

- ومن المهم أيضاً إقرار مبحث في احترام التباين الإنساني، كالاختلاف الديني، لأن الاختلاف حكمة إلهية وطبيعة بشرية؛ فقد خلق الله ﷻ عباده مختلفين في الفهم متقربين في الأهواء، فقال عز من قائل حكيم: ﴿وَوَشَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ وَكَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: 118-119]، وكأن الحق تبارك وتعالى يؤكد لعباده بأن التنوع إحدى

غايات الخلق، ولكن هذا لا يعني أن يتأول أحدهم الحجة من ذلك على معصية الله وجحود نعمته والكفر به، قال الضحاك: "لا حجة لأحد عصي الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده" (41)، والحق ﷻ أعطى لعباده حرية الاختيار، فقال: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف:

29]، وهو سبحانه وتعالى حينما عرض هذه القضية عرضها ليبين لنا أنه لم يرغم بقدره خلقه على مسائل الاختيار في التكليف؛ وجعله في إطار هذه الآية، والدليل على ذلك أن الإسلام حينما فتح كثيراً من البلاد ترك لهم حرية اعتناق الإسلام أو البقاء على أديانهم (42)، فلا بد إذن من الحديث في هذه القضايا حتى لا تنشأ عداوة بين المسلمين وسائر الأمم، وليعني الجيل الصاعد أن

غير المسلمين تمتنعوا بالرعاية والحماية في ظل راية الإسلام طيلة القرون الماضية من عصور الخلافة الإسلامية المتعاقبة.

- وينبغي ألا يُهمل كتاب الثقافة الإسلامية في عصرنا الحديث عن التكنولوجيا واستعمالاتها الصحيحة في حياة المسلم، والتحذير من آفاتها؛ لأن غزوها الفكري والحضاري عبر وسائلها المختلفة أثر على الأجيال الصاعدة؛ فكانت التكنولوجيا وفضاءاتها رائده الأول في صياغة الأفهام والأخلاق وغسل الأدمغة، ومثل ذلك تحدياً غير مسبوق لمناهج الثقافة والتربية، حيث أضحت الهواتف الذكية وأخواتها "كمبيوتر، أيباد... أكثر ما يستهلك أوقات شبابنا وعقولهم- بل وأطفالنا الصغار- وفي الوقت الذي يمكن أن تكون فيه هذه التقنية سبباً للدمار والضياع الأخلاقي؛ يمكن لمقررات الثقافة الإسلامية أن تُوظف ذلك بصورة نافعة وجذابة وأكثر تأثيراً.

- مواد تركز على التحصين الفكري ضد التعريب القسري، خاصة أن شبابنا اليوم يعانون من مشاكل في الحفاظ على الهوية، وهذه النقطة وإن كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما سبقها من التحذير من آفات الاستخدام التكنولوجي غير المضبوط وتأثيراتها على أجيالنا الصاعدة، وهناك محاولات جادة فيما يخص بعض المصنفات التي عنت بهذا الجانب، مثل: "كتاب الثقافة الإسلامية لعنان زرزور" وقد أشار مصنفه إلى مسائل مهمة للحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية، وتحريك الوعي العربي والإسلامية لمواجهة التهويد وأذرعه من ماسونية ومسيحية معاصرة تدين بولائها المطلق لدولة إسرائيلية بمفاهيم تلموزية وعقلية عنصرية طامحة لاجتثاث الكيان العربي وضرب الإسلام في العمق(43).

2- الأستاذ المحاضر؛ وهو عصب هذه المادة وقوامها، لأن اختياراته وأسلوبه في التدريس؛ واستيعابه للواقع؛ ونظره بعين الاعتبار لاهتمامات الطلبة وانشغالاتهم الفكرية؛ يشكل حجر الزاوية في توعية الطلاب ووضعهم في الإطار النظري لمعرفة إسلامية صحيحة، ولأن الأستاذ يمثل الوساطة بين الطالب والمنهج، ومناهج الثقافة الإسلامية ذات طبيعة خاصة- وبالذات في القرن الحالي- بسبب الاتجاهات الإسلامية المختلفة وانتشار التيارات والجماعات، ونزوع بعض المناهج للغلو والتطرف، ومع الحاجة إلى التركيز على دور الثقافة الإسلامية في محاربة التطرف والإرهاب نظراً لحملات التشويه التي يتعرض لها الإسلام ورموزه، وظهور دعاوى مشبوهة - في هذه الأيام- تصف المناهج الإسلامية بأنها تُنتج التطرف وتُنبئ الإرهاب وتثير لدى الطلاب نزعات الكراهية ضد الغرب(44)، هذا غير التحدي التقني والإعلامي ... كل ذلك يُضيف أعباءً أخرى على مُعد ومحاضر مادة الثقافة الإسلامية؛ ويحملهما مسؤولية أكبر في مخاطبة العقول ومناقشة الأفكار المختلفة؛ ووضع الدارسين على جادة الصواب، وهذا ليس بالأمر الهين؛ ولا يُحسنه كل أحد، ويشكل الجانب العلمي والخبرة؛ بالإضافة إلى المخزون المعرفي لدى الأساتذة والمحاضرين الدور الأبرز في تثقيف الناشئة وتلقينهم ثقافة إسلامية متنوعة ورشيقة.

1.1.12 ثانياً: الطريقة والأسلوب "التنوير الواسع":

"وهذا يشترك فيه المقرر والأستاذ" فالوسيلة من كتاب أو مضافات تكنولوجية يُستعان بها عبر الأساليب الحديثة والمحاضرات الموجودة على المواقع الرقمية كـ "اليوتيوب، والفيس بوك والتويتر وغيرها؛ تعد من أهم الوسائل التي يُنصح بها حديثاً في مجال التنقيف الإسلامي، خاصة ونحن في عالم متعولم تسيطر عليه الصناعة الإعلامية الغربية؛ وصار لزاماً على الأمة الإسلامية أن تسير الثقافة الجديد وتستمد من التكنولوجيا الحديثة طرائق لنشر الثقافة الإسلامية في ربوع العالم؛ عبر الوسائل التي تستحوذ على أوقات المشاهدة والاستماع والقراءة، ومختلف أشكال التواصل المعاصرة، ولكن هذا المحذور يقل تأثيره بالتوجيه التربوي الذي يتولاه معثوا مناهج الثقافة الإسلامية- من أهل البصيرة- فيوجهون طلابهم نحو المواد التي تخدم رسالتهم السامية، وتعطيهم لقاحات ومضادات فكريّة لما يُنشر من فتاوى شاذة؛ وأفكار مُتطرفة خدّاعة؛ قد يلبسها مطلقوها لبوس الإسلام ويلوون أعناق الأدلة ليقتنعوا بها المبتدئين وأنصاف المتعلّمين الذين لا يحسنون النظر في الأدلة ومقارعة الحجة بالحجة، فيقوم الأستاذ بأسلوبه وطريقته في توعية طلابه بكيفية ضبط هذه الوسائل؛ ومناقشتهم والرد على استفساراتهم وإيضاحها في قالب توعوي لا يُحجّر على الطالب استخدامهم الوسائل الحديثة في المعرفة والاطلاع، وفي نفس الوقت يبين لهم خطأ بعض الآراء ومجانبتها للصواب، فيطّلع الطالب على الآراء الخاطئة لا ليتبعها؛ ولكن ليتبين له فسادها وسقوط الاستدلال عليها، فيتّسع أفقه ويقوى إدراكه، وتكون الحوارات بين الطلبة والقائمين على تدريس الثقافة الإسلامية؛ تطبيقاً عملياً لما يدرسونه من مقررات؛ من شأنه أن يبحر بطلبة الجامعات في فضاءات من العلوم الاستنباطية وينمي عندهم العقلية التحليلية لكل ما يسمعون أو يقرأونه ويشاهدونه، وهذا الثقافة الجمعي بين النظري والواقع هو ما نحتاجه إلى تطوير طرائق تدريس مادة الثقافة الإسلامية وتطويرها في هذا العصر.

1.1.13 ثالثاً: التنوير المقاصدي:

وهذا النوع من التنوير متعلق بالنوعين السابقين، فإذا استقام المنهج والأسلوب التنويري، فسوف نخلص بالتأكيد إلى الغاية المقصودة من هذا التنوير، فليس المقصود التنوير في حد ذاته، بل الاعتبار بمآلات هذا التنوير، فإذا أفضى تطوير مادة الثقافة الإسلامية إلى تحسين المخرجات العلمية، وأوجد وعياً حقيقياً لدى شباب الأمة، فإن هذا دليل على أن الطريقة والمنهج لهذه المادة قد استجابا لتحديات العصر وضرورات التطوير، ومن جهة أخرى فإن "التنوير المقاصدي" يضبط الوسائل والأسلوب، بحيث ينبه على انحراف أحدهما أو كليهما عن مقاصد التنوير الإسلامي، ويمكن تشبيهه بـ "المقياس الحراري" أو ما يعرف بالثيرمومتر، فما زاد عن مقاصد الشريعة الإسلامية عدّ تطرفاً وإفراطاً، وما نقص عن معالمها أو أنقص منها عدّ تضييعاً وتفریطاً، فيكون "التنوير المقاصدي" بهذا الوصف ضابط لما ينبغي أن يكون عليه التنوير المنشود.

هذا التنوير المنشود يمر بعدة صعوبات وتكتنف طريق مريديه بعض العقبات؛ ومنها:

1- الافتقار لخطّة واضحة لتنوير معتدل وصحيح لمادة الثقافة الإسلاميّة؛ يُلبّي متطلبات العصر، وينسجم مع روح الدين الإسلامي، وغاية ما وُضع من مناهج كانت بمجهودات فردية من بعض الباحثين وأصحاب الفكر، في حين أن التحديات التي تواجهها مادة الثقافة الإسلاميّة- بل الوجه الإسلامي الثقافي والحضاري بشكل عام- تحتاج إلى جهود مؤسسات ودول، لوضع خطط واضحة المعالم؛ تكون وراءها الحكومات، وتعدّها النخب والمجامع.

2- عدم تفريق بعض الأساتذة والكتّاب بين التنوير الغربي والتنوير الإسلامي، فوقعوا في الخطأ من طريقين:

- عددٌ من الأساتذة تشدّدوا في التحذير من التنوير المنهجي في الثقافة الإسلاميّة واعتبروه خطأً من خطوط العلمانية، فأفرغوا مادة الثقافة من حيويتها وجعلوها منوطة بما هو قديم وتقليدي.

- سلك آخرون طريقة التنوير الغربي فلم يحتفظوا بالخصوصيّة الإسلاميّة، وجعلوا من مناهج الثقافة الإسلاميّة أشبه بمناهج الفكر السياسي؛ وخلطوا بين الفكر الإسلامي والفكر المسيحي، فضاعت هوية الثقافة الإسلاميّة وغاب تأثيرها.

3- ضعف بعض جامعاتنا وقصورها عن الاستفادة من التنوير التكنولوجي بسبب قلة الإمكانيات، وقلة الخبرات والكوادر التي تتعامل مع هذه التقنية، أضف إلى ذلك ضعف اللّغة الأجنبيّة- وخاصة الإنجليزيّة- عند كثير من الأساتذة؛ الأمر الذي انعكس على تعاملهم مع تقنية المعلومات وقُلَّ نسبة استخدامهم لها، كما أن بعض الجامعات لم تُشجّع استخدامها بحجة أنّ الاعتماد على تقنية المعلومات الحديثة تشوبه المحاذير، وأنّ الفضاء العنكبوتي يحوي الكثير من المعلومات التي تفتقر للدقة والموضوعية، خاصة وأن الرقابة عليها ضعيفة، ومن هنا فإن فيها كثيراً من المعلومات المغلوطة والمشوهة (45).

4- عدم الجدّية من بعض إدارات الجامعات- في عالمنا العربي والإسلامي- للأخذ بزمام التجديد والتنوير في مواد الثقافة الإسلامية، بل إنّ عدداً من الأساتذة القائمين على تدريس هذه المادة؛ يقدّمونها في إطار من الرتابة الفاقدة للحيوية المواكبة للعصر وما جدت فيه من أحداث، ومعظم هؤلاء يتعاملون مع مناهج الثقافة من منظور وظيفي صرف؛ يفتقد للإيمان بأن هذه رسالة علميّة وأخلاقية يجب مراعاتها حتى تُؤتي أكلها وثمارها تثقيفاً إسلامياً صحيحاً لأبناء المجتمع وأهم شريحة فيه، ألا وهم طلبة الجامعات.

هذه بعض المعوقات في طريق التنوير الثقافي الإسلامي، ويمكن التغلب على هذه التحديات بجهد جمعي تتكاثف فيه جهود الخبراء من مختلف التخصصات، وذلك للاستجابة لهذه التحديات ووضع

خطة شاملة لما ينبغي أن تكون عليه هذه المادة التي تساهم بشكل كبير في رسم ملامح التفكير الإسلامي لدى شريحة واسعة من شباب الأمة؛ والحاجة إلى تطويرها وبعث الحياة فيها أضحى ضرورة لا غنى عنها في هذا العصر.

1.1.15 الخاتمة

ينبغي الإشارة في ختام هذا البحث إلى أهمية التنوير لمناهج الثقافة الإسلامية في جامعاتنا، بل إن التنوير الثقافي الإسلامي أضحى ضرورة لا غنى عنها في هذا العصر، وإن كان هذا التنوير يمر بالعديد من الصعوبات؛ وتكتنف طريق مريديه بعض العقبات؛ فإن سبب ذلك يرجع أساساً إلى سوء عرض هذه المادة وتقديمها، وعدم إعطائها ما ينبغي من الاهتمام؛ وهذا الإهمال يشترك فيه الجميع من أساتذة وطلاب وإدارات الجامعات، كما أن التأطير التقليدي لوحدات هذه المادة حال بينها وبين التجديد المطلوب، ولو أعطيت هذه المادة القدر الكافي من المتابعة والتطوير لانتجت جيلاً يتسم بثقافة إسلامية صحيحة تجعله أكثر تأهيلاً للوقوف في وجه التحديات التي تواجهها الأمة على الصعيدين الداخلي والخارجي، ثم إن هذا التنوير أمر متاح وفي متناول اليد إذا خلصت النوايا ووضعت الخطط الصحيحة والعملية وتضافرت جهود المؤسسات العلمية للتعامل مع متطلبات هذا العصر، وقد بذلت محاولات حثيثة من عدد من المهتمين والباحثين في مادة الثقافة الإسلامية لجعل هذه المادة أكثر مواءمة وانسجاماً مع الأحداث المعاصرة، ولكنها تبقى جهوداً فردية ولا ترتقي لمستوى التحديات، في حين أن الإصلاح الثقافي يتطلب تعاوناً جماعياً بين الأفراد والمؤسسات والحكومات؛ وذلك لضمان نتائج أكثر فاعلية وتأثيراً على الساحة الثقافية والتربوية اليوم، ويمكن القول بأن جماع الإصلاح والتطوير لمادة الثقافة الإسلامية يكمن في المزاوجة بين شيئين: **(الثقافة وفهم الإسلام)** لأن تبادلية المعرفة بين الثقافة والفهم تعتبر المحرك الرئيس لنجاح برامج التطوير البنوية لوحدات "مادة الثقافة الإسلامية" وهذه التبادلية التكاملية تعد سبباً رئيساً في الحقل الثقافي بشكل عام والوجه الإسلامي على الخصوص، وهنا نجمل بعض التوصيات التي يمكن لها أن تساهم بشكل بناء في طريق التنوير المنشود.

التوصيات:

- 1- اعتبار التنوير المنهجي والوسائل والمقاصدي أساساً في تدريس مادة الثقافة الإسلامية.
- 2- إذابة التنوير وتطويعه في الإطار الإسلامي العام والابتعاد عن التنوير المبتذل المخالف للقواعد الإسلامية الصحيحة.
- 3- اعتماد منهج يتضمن أساسيات في التنوير يمكن رسم معالمه من خلال دليل يُعمم على الجامعات كدليل استرشادي للأساتذة المحاضرين، تُجمع فيه آراء المتخصصين ليس في العلوم الإسلامية فحسب، بل ممن لهم الدراية بالتخصصات العلمية والتربوية المختلفة، ويمكن لهذا الدليل أن يكون رائداً في الثقافة الإسلامية، بحيث يضبط معالم التنوير فيها ويجعلها أكثر مواءمة للعصر وما يستجد فيه من أحداث.

- 4- انفتاح منهج الثقافة الإسلامية على أهل الديانات الأخرى وبيانه لما يجب لهم من حقوق التعايش السلمي؛ ونبذ الكراهية والتعالي عن الأحقاد، وأن المنهج الإسلامي يقوم على مخاطبة هؤلاء بالكلمة الطيبة، كما قال الله ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَاتِّبِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].
- 5- الانفتاح على التكنولوجيا وجعلها أحد مرتكزات الثقافة الإسلامية، وذلك بحث الطلاب على الاستفادة من التطور التقني واستخدام الشبكة العنكبوتية لمواكبة كل جديد.
- 6- إعطاء دورات للأساتذة والمحاضرين وتشجيعهم على الاستفادة من التقنية وتوجيه طلبتهم لاستخدامها في المجالات العلمية النافعة، وتعزيز المشاركة بين الطالب والأستاذ.
- 7- زيادة الوقت المخصص لمادة الثقافة الإسلامية، حتى تستوعب أكبر قدر ممكن من الوحدات، وهذا لا يكون إلا بتضمين هذه المادة في جزئين على الأقل، وإعطائها سعة من الوقت، لبحث كافة القضايا التي تهتم المجتمعات الإسلامية اليوم، ومناقشة العلاقة التي تربط المسلمين بكافة شعوب الأرض، وهذا لا يتأتى إلا من خلال مدة زمنية أطول مما هو عليه الحال اليوم في التعامل مع الوعاء الزمني المخصص لهذه المادة.

1.1.16 المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (دار الدعوة، ب. ت. ط).
- 2- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، (مكتبة الحلواني، 1972م).
- 3- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت: مكتبة لبنان، 1995م).
- 4- ابن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1999م).
- 5- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب. ت. ط).
- 6- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م).
- 7- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط1، 1993م).
- 8- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 2008م).
- 9- إسماعيل المصري، الإلحاد والملحدون في مصر ما بعد الانقلاب، (المعهد المصري للدراسات، 26/يونيو/2020م).
- 10- الغزالي، أبي حامد الغزالي، إلهام العوام عن علم الكلام، (بيروت: دار المنهاج، ط1، 2017م).
- 11- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى للبيهقي، (الهند: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط1، 1344هـ).
- 12- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسبوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ).
- 13- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط9، 1993م).
- 14- الشعراوي، محمد متولي، خواطر حول القرآن الكريم؛ تفسير الشيخ الشعراوي، أخبار اليوم، 1991م.
- 15- حنان عيسى، غانم العبيدي، أساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، (الرياض: دار العلوم، 1984م).

- 16- شريف علي حمادي، تحليل محتوى مساق الثقافة الإسلامية في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة في ضوء قضايا معاصرة، مؤتمر التربية في فلسطين وتغيرات العصر، (غزة: كلية التربية، الجامعة الإسلامية، 23-24/11/2004م).
- 17- صامويل هنتجتون، صدام الحضارات ... إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، (القاهرة: هيئة الكتاب المصرية، ط2، 1999م).
- 18- عبد الله الطريقي وآخرون، الثقافة الإسلامية: تخصصاً ومادة وقسماً علمياً، (الرياض: كلية الشريعة، ط1، 1417هـ) -
- 19- عبد العزيز الشرفاوي، الذكاء بين النوعية والشمولية، (دار المعارف، 2013م).
- 20- عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، (دار الشرق، ط1، 2002م).
- 21- علي محمد محمد الصلابي، الدولة الأموية: عوامل الازدهار؛ وتداعيات الانهيار، (بيروت: دار المعرفة، ط2، 2008م).
- 22- عيسى الشماس، استخدام الانترنت في البحث التربوي: دراسة ميدانية على طلبة الدراسات العليا- (دمشق: مجلة جامعة دمشق، العدد الثاني، المجلد 24، 2008).
- 23- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، طبعة 2000م)، منسوخة عن: (ط4، 1984م).
- 24- محمد خليفة حسن أحمد، المجتمع اليهودي بين الاستشراق والتغريب، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، (المجلد 39- العدد2)، 1443هـ- 2021م.
- 25- محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، (دار الفكر، ط1، 1968م).
- 26- محمد عمارة، ويسالونك عن التنوير، مجلة الداعي (دار العلوم، السنة 38، عدد: 6-7 أبريل - مايو 2014م).
- 27- محمد قيراط، نشر الثقافة الإسلامية في العصر الرقمي، (الشرق، 4/ سبتمبر/ 2021م)، على: <https://al-sharq.com/opinion/15/11/2014>
- 28- مصطفى مسلم، الثقافة الإسلامية: تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، (إثراء للنشر والتوزيع، مكتبة الجامعة، ط1، 2007م).
- 29- ول دايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، (بيروت، دار الجيل، ب. ت. ط).
- 30- Mythology, Edward Burnett Tylor, John Murray, Primitive Culture: Researches into the Development of, Albemarle Street. London. 1871.
- 31- Zafirovski Milan, The Enlightenment and Its Effects on Modern Society, 2010.
- 32- The future of the world's most popular religion is African, The march of <https://www.economist.com/international/2015/12/25/the-future-of-the-Christianity> [worlds-most-popular-religion-is-african](https://www.economist.com/international/worlds-most-popular-religion-is-african).

*- أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة. عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية كلية الآداب والعلوم. جامعة طرابلس.

11

- 2- حنان عيسى، غانم العبيدي، أساسيات الباحث العلمي بين النظرية والتطبيق، (الرياض: دار العلوم، 1984م)، ص25.
- 3- صامويل هنتجتون، صدام الحضارات ... إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، (القاهرة: هيئة الكتاب المصرية، ط2، 1999م)، ص69.
- 4- Edward Burnett Tylor, John Murray Primitive Culture: Researches into the Development of Mythology, (Albemarle Street. London. 1871), P1.
- إن اعتبار "الثقافة" مصطلحاً مُشكل في الواقع، ذلك أن الكلمة مختلفت في معناها الاصطلاحي منذ القدم وإلى عصرنا الحالي، والمصطلح لغة ما اتفق على مدلوله، لذلك قيل: المصطلح في العلوم: "كل كلمة لها دلالة معينة، متفق عليها بين العلماء في علم ما"، أما الدلالة المعنوية؛ فلا يبعد أن يُطلق على كلمة من الكلمات مصطلح لا اعتبار معين، وإن لم تتفق كل الآراء على مدلولها، فقد يصطلح جماعة أو أهل بلد على تسمية معينة في حين يخالفهم الآخرون، وهذه المخالفة لا تنفي المعنى الذي أرادوه من إطلاقهم على كلمة ما مصطلح بعينه، وهذا شأن المصطلحات الحديثة، فقد اصطلح على تسمية الخوف من الإسلام "الإسلاموفوبيا"، في حين أن هذا اللفظ وإن كان مصطلحاً غربياً لكن الجدل مازال قائماً حوله* ينظر: المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، عناية محمد عثمان، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2009م)، ج8، ص: 368.

- 5- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، طبعة 2000م، منسوخة عن ط4، 1984م)، ص74.
- 6- المرجع السابق، ص67.
- 7- إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر- محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (دار الدعوة: ب. ت. ط)، ج1، ص: 98.
- 8- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط1، 1993م)، ج9، ص19.
- 9- مصطفى مسلم - فتحي محمد الزغبى، الثقافة الإسلامية: تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، (إثراء للنشر والتوزيع: مكتبة الجامعة، ط1، 2007م)، ص18.
- 10- محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1968)، ص21.
- 11- ينظر: عبد الله الطريقي وآخرون، الثقافة الإسلامية: تخصصاً ومادة وقسماً علمياً، (الرياض: كلية الشريعة، ط1، 1417هـ) ص18.
- 12- ينظر: المرجع السابق، ص: (18-20).
- 13- عن أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبقائه ورسله وتؤمن بالبعث قال: ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به... الحديث" محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل، ج1، ص: 19، رقم الحديث 50، وللحديث روايات أخرى في الصحيحين وغيرهما.
- 14- حجة الإسلام الإمام: أبي حامد الغزالي، إجماع العوام عن علم الكلام، (بيروت: دار المنهاج، ط1، 2017م)، ص63.
- 15- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1999م)، مسند أبي هريرة، ج14، ص: 512، حديث رقم: 8952، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ)، باب: من شعب الإيمان، ج6، ص: 230، حديث رقم: 7609، قال الشيخ الألباني: صحيح، ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح وضعيف الجامع وزوائده الصغير، (المكتب الإسلامي 1988م) حديث رقم: 2349.
- 16- ينظر: داليا شبل، «الوطن» تحاور 3 من الملحنين في الجامعات، 04 ديسمبر 2014، على: <https://www.elwatannews.com/news/details/611754>
- 17- ينظر: إسماعيل المصري، الإلحاد والملحدون في مصر ما بعد الانقلاب، (المعهد المصري للدراسات، 26/يونيو/ 2020م)، ص: (1-9).
- 18- ابن منظور، لسان العرب، 24/4.
- 19- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 2008م)، ج1، ص: 110.
- 20- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرئوط، (مكتبة الحلواني، 1972م)، كتاب: في الفضائل والمناقب، باب: في فضل القرآن مطلقاً، ج: 8، ص: 461، رقم الحديث: 6231.
- 21- قال يونس الصديقي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة، ينظر: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الارنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط9، 1993م)، ج10، ص: 16.
- 22- الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ت.ط)، ج1، ص: 106.
- 23- وهذا كلام باطل لم يثبت، وإنما هو من كلام الشيعة الروافض، وقد امتلأت بعض كتب التاريخ بهذه الافتراءات، ينظر: علي محمد الصلابي، الدولة الأموية: عوامل الازدهار؛ وتداعيات الانهيار، (بيروت، دار المعرفة، ط2، 2008م)، ج1، ص: 103.
- 24- مصطفى صبري التوقادي، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، تحقيق: عبد القادر محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2021م)، ج1، ص: 91.
- 25- محمد خليفة حسن أحمد، المجتمع اليهودي بين الاستشراق والتغريب، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، (المجلد 39- العدد 2)، 1443هـ/ 2021م، ص 112-113.

26- وهي تعني فصل الدين عن الدولة وعن الحياة العامة، واعتبار الإنسان مخلوقاً مادياً أشبه بالمادة الاستعمالية، فالمطلق العلماني النهائي؛ ما كانت مرجعيته النهائية الطبيعة المادية؛ ينظر: عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، (دار الشرق، ط1، 2002م)، ص: (237- 240).

27- تبقى التيارات والنخب من أكاديميين وباحثين؛ حائط صد في طريق هذه التيارات وطموحاتها في تغيير مناهج الثقافة الإسلامية، ولكن الصراعات السياسية التي طفحت على السطح بين الأحزاب السياسية من إسلاميين وعلمانيين، فتح في حائط الصد هذا ثغرات قد يتفاقم خطرهما في المستقبل، ومن الأمثلة على ذلك تأثير المد الثقافي الإسلامي في تونس ومصر عقب ثورات الربيع العربي وسعي التيارات السياسية لكسب تأييد الشارع، وهذه التيارات بعضها ينتمي إلى التوجه الإسلامي وبعضها الآخر إلى الفريق العلماني، وبالتأكيد فإن وراء هذه التيارات نخب ورجال فكر استخدموا المنهج الثقافي الإسلامي لنصرة تياراتهم، "وهذا كان بسبب التوتر بين الحقوق الفردية والدينية- لا المبادئ السياسية المتنافسة للحكومة- الأمر الذي يغذي الصراعات السياسية بين الإسلاميين والعلمانيين"، ينظر: بين نارين: مكابدات الإسلاميين في تونس، مركز مالكوم كير- كارنيغي للشرق الأوسط، على: <https://carnegie-mec.org/2014/01/27/ar-pub-54615>، تاريخ زيارة الموقع: 2021/10/10م.

28- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت، مكتبة لبنان، 1995م)، ج1، ص: 688.

29- لسان العرب، ج5، ص240.

30- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، باب: في تعظيم القرآن، ج3، ص: 403، حديث رقم: 1875.

31- إن العلامة ابن عاشور-رحمه الله- سَمَّى كتابه التفسير بـ"التحرير والتتوير" بل قال في اسم الكتاب بطوله: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لاحظ قوله: تنوير العقل الجديد، وكأنَّ الشيخ- رحمه الله- قصد بذلك ما تحتاجه عقول بعض الناس وخاصة جيل الشباب من تجديد وتنوير في كل عصر وذلك لفهم معاني القرآن العظيم.

32- Zafirovski Milan, The Enlightenment and Its Effects on Modern Society, (2010), p144.

33- محمد عمارة، ويسالونك عن التنوير، (مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم، السنة 38، عدد: 6-7 أبريل - مايو 2014م).

34- عبد العزيز الشراقوي، الذكاء بين النوعية والشمولية، (دار المعارف، 2013م)، ص73.

35- يزعم القساوسة أن لهم الحق من الرب بغفران الذنوب، مستشهدين على ذلك بإنجيل يوحنا: " مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرْ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكْتُ"، وهذا وفقاً للباباوات والقساوسة فسر على أنَّ رجال الكنيسة منحوا القدرة على مغفرة الخطايا، ينظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، 30/20.

36- ول دايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، (بيروت، دار الجيل، ب. ت. ط)، ج24، ص: 56.

37- الكتاب المقدس، العهد القديم، التكوين، 6/3.

38- وفقاً لبيانات من المسح الاجتماعي الأوروبي (ESS) وجدت أنَّ حوالي 75% من سكان أوروبا أو 585 مليون، ومع ذلك فإن الكهنة والخدام الأوروبيين يوعظون إلى مقاعد فارغة أكثر من أي وقت مضى. 10% فقط من البالغين في فرنسا والسويد يذهبون إلى الكنيسة مرة واحدة في الشهر أو أكثر. في أيرلندا، انخفض الحضور المنتظم من 90% في عام 1990 إلى 60% في عام 2009. وقد أدى تقلص عدد المصلين إلى إغلاق كنيسة إنجلترا، أحد أكبر ملاك الأراضي في بريطانيا، 1900 كنيسة منذ عام 1969، بنسبة 11% من الإجمالي، ينظر: The future of the world's most popular religion is African, The march of Christianity، على: <https://www.economist.com/international/2015/12/25/the-future-of-the-worlds-most-popular-religion-is-african>، تاريخ زيارة الموقع: 2021/8/30م.

39- بل إن الشيخ العلامة ابن عاشور لم يجد حرجاً في استخدام التنوير كل تناسب المعنى القرآني في استخدامها؛ للتعبير عن التجديد الذي بثته رسالة الإسلام الخالدة في الرئة البشرية، ومنها قوله عند تفسير هذه الآية: "قد جاءكم بصائر من ربكم..." لأن القرآن أنواعاً من الهدى على حسب النواحي التي يهدي إليها، من تنوير العقل في إصلاح الاعتقاد، وتسديد الفهم في الدين... ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م)، ج8، ص: 238.

40- محمد عمارة، الإسلام بين التنوير والتزوير، (دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995م) ص19.

41- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م)، 358/3.

-
- 42- محمد متولي الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم؛ تفسير الشيخ الشعراوي، (القاهرة: أخبار اليوم، 1991م)، ص: (2728، 3875).
- 43- عدنان زرزور وآخرين، الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات، (مركز الحكمة قطر) ، ص45، 59، 88-122.
- 44- شريف علي حمادي، تحليل محتوى مساق الثقافة الإسلامية في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة في ضوء قضايا معاصرة، (غزة: مؤتمر التربية في فلسطين وتغيرات العصر، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، 23-24/11/2004م)، ص12.
- 45- عيسى الشماس، استخدام الانترنت في البحث التربوي: دراسة ميدانية على طلبة الدارسات العليا، (دمشق: مجلة جامعة دمشق، العدد الثاني، المجلد 24، 2008)، ص106.